{ مجموعة القيم يتم اكتسابها من المحيط ألتعايشي بين الناس بما يشهده هذا المحيط من أحداث ومتغيرات، وبما يشهده من مكونات لمفاهيم وثقافة تغدو هي المحددة لهوية المنتمين إليها. ووفق هذه القيم وثقافتها تأخذ العلاقات بين الأفراد شكلها.. غير أنها تشذ أحيانا عن بعدها الإنساني عندما تصطدم مع ثقافات أخرى قد تختلف معها في بعض التفاصيل.. ويأخذ هذا الصدام شكله السلبي من حدة التزمت في المعتقد الوضعي ورفض أي مغاير أو صوت آخر مهما كان، الأمر الذي قد يصل بالمنتمين إلى هذه الثقافة أو تلك مع التعصب إلى حالة من إنكار الآخر وعدم القبول به ليشوه ذلك من حقيقة التعايش الإنساني الذي أراده الله لبني البشر. على مستويات مختلفة يعيش واقعنا العربي اليوم ظهور نماذج في مجتمعات من هذه الحالات المتشبثة بفكرها.. تعادي الآخر لأجلها وتحاول فرضها عليه بالقوة حد الغائه إن أرادت.. منزوية بحالها ومؤطرة ذاتها بهالة من التشدد والتعصب، وعلى إثر ذلك ظهرت على السطح هذه الثقافة التي تميل إلى التعصب للفكر وللجماعة أو أي أطر أخرى.

تحقيق / وديع العبسي

«ليس منا من دعا إلى عصبية»

التعصب.. تحيز شديد وتحامل مفرط

- الشخصية المتعصبة تتصف بالجمود والانغلاق الذهني

تحيز بلا سند

□ يعتبر التعصب حسب المرجعيات النفسية: وباء نفسيا اجتماعيا ويعرف بأنه «التحيز الشديد والتحامل المفرط في التعامل مع الأمور ولصق السوء بالآخرين دون استناد إلى أدلة تثبت ذلك .. وهو هوى بالنفس واتجاه نفسي ينعكس في العلاقات الاجتماعية من خلال وجود طرف في مجتمع يعارض طرفا آخر في نفس المجتمع أو في مجتمع آخر ويتعصب عليه سواء بأفكاره أو مشاعره أو اتجاهاته».

وللشخصية المتعصبة حسب باحثين اجتماعيين خصائص تميزها عن غيرها وهي اتصافها بالجمود والانغلاق الذهني والإيمان المطلق بمعتقدات جماعة ما مهما كان خطأها.

جهل وقصر نظر

□ يقول الشيخ/ ناصر الشيباني: إن من الناس من ابتلوا بقصر النظر والجهل، لذلك نراهم يقفون عند تخوم الحقيقة ويقنعون بذلك، ووقوفهم هذا عند طرف الأمر الديني تتولد عنه حالات انفعالية بعيدة عن الصواب وتتركهم على حرف هاوية تسقطهم فيها أية عاصفة أو فتنة مهما كان مقدارها، هذا النوع من العابدين هو من يخشى عليه، هؤلاء الذين يعبدون الله على حرف ويبقون على جهلهم وتعنتهم ويغلقون على أنفسهم أبواب التطور الفكري من خلال جمود ظنوه محافظة، ومن خلال تعصب ظنوه تدينا، ومن خلال تطرف حسبوه التزاما بما أمر به الله تعالى.. ويقول الشيخ الشيباني: إن الإشكالية عند هؤلاء تبدأ مع تعصبهم لفكرة أو لأمير مجموعتهم أو شيخهم فتراهم يقيدون أنفسهم بما أتاهم من هذا القبيل ويكتفون برؤية النور من زاوية واحدة، وهذا المنهج يقوم على رؤية الأمور من جانب واحد لا يجعل الصدر ضيقا حرجا فحسب بل وبعيدا عن الوسط والاعتدال.

الاستبداد بالرأي

□ والأكيد في هذا إن التعصب والعصبية هي السبب التي يمكن أن تؤدي إلى الفرقة.. ولذلك يقول الشيخ / محمد يوسف جلال «الفرقة لا تأتي إلا بسبب عصبية عمياء أو الحزبية والمذهبية وكل هذا نهى عنه الإسلام.. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من مات على عصبية وليس منا من قاتل على عصبية)».. والنهي جاء لأن التعصب يجعل صاحبه مستبدا برأيه وهو على خطأ وفي نفس الوقت يتهم غيره بأنه على باطل فبالتالي ينعدم الترابط»

كما إن التعصب أيضا هو أصل التطرف الذي يؤدي حسب الشيخ / مهدي الريمي إلى الشطح في أداء العبادات الشرعية.. بينما مصادر التطرف هي اجتهادات الآخرين ومجاوزة الحدود في التعامل مع الآخرين.

حسابات خاصة

□ تعزو الدراسات السيكولوجية أسباب التعصب والتطرف إلى التنشئة الاجتماعية والنفسية مع وجود ما يغذيها من عمليات الشحن الانفعالي المستمر.

يرى الدكتور عبد المؤمن سيف الناجي أخصائي أمراض نفسية وعصبية بأن التعصب بشكله البسيط هو ترجمة لاضطراب نفسي يعيشه المتعصب، ونتيجة لهذا الاضطراب فإنه سريع الانقياد شريطة معرفة طبيعته ومعرفة ما يعانيه من شعور بالنقص.. وقال: إن حالات التعصب أو التطرف التي يشهدها عالمنا هذه الأيام تأتي على مستويات فهناك من لديهم حسابات معينة وهي حسابات خاصة بهم يعملون على أساسها ويسهل لهم المضي في تنفيذ رغباتهم وجود عناصر من الشباب لديهم الاستعداد للانخراط في مثل هذه المجاميع.

وعن الأسباب يقول الدكتور الناجي: الأسباب كثيرة منها ما ينشأ أثناء عملية التربية والمتابعة من قبل الأبوين لمراحل نشوء الطفل سواء في البيت أو المدرسة أو في الشارع وحتى عند لعبه مع أقرانه وهي التي تقتضي دائما من الآباء مراعاة الجانب النفسي لدى الطفل والتعرف على مشكلاته الشخصية والانفعالية والسلوكية، والاهتمام بما يخلق لدى النشء حالة من الاتزان في مختلف مراحل حياته، ويجعله متوافقا مع البيئة المحيطة به، والاهتمام أيضا برغباته واحتياجاته المتكونة خلال هذه المراحل.. ويضيف: وهناك أيضا ما ينشأ عن البيئة في تكوين نزعة التعصب أو التطرف لدى الشخص وهي عوامل من نوع الحالة الاقتصادية والفقر والبطالة التي تولد حالة من الإحباط وتجعل الشخص في وضع نزق قابل للتعاطي مع كل ما يترجم إلى عنف كنوع من سد الإحساس بالنقص أو إثبات الذات، ومثل هذا يسهل استقطابه من قبل فئات ضالة.

الخدمة النفسية

□ وعلى أساس ما سبق يؤكد باحثون بضرورة الاهتمام بالخدمة النفسية في المدارس نظرا لكون «النمو النفسي والاجتماعي جانباً ملازماً للنمو الجسمي والمعرفي وبالتالي فالطلبة يحتاجون إلى رعاية في كل هذه الجوانب بشكل متكامل».

والخدمة النفسية حسب مجموعة من الباحثين تعني «مجموع الخدمات النفسية الإرشادية الفردية والجماعية التي يجب أن تقدم للطلبة بما يتلاءم مع احتياجاتهم النفسية والاجتماعية وتستند إلى متطلبات وخصائص النمو لديهم وبما يحقق لهم أعلى مستوى من التوافق والصحة النفسية كما يمكنهم من استغلال قدراتهم في حدها الأعلى».

البحث في الخلفية

□ حول العلاج تقول الباحثة سحر عبده صالح ؟ جامعة تعز «علاج التعصب باعتباره سلوكا وانعكاسا نفسيا لواقع معاش يحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد.. فكنتاج ثقافي يجب معرفة الأسباب الداعية إليه وتشخيصها ليتسنى وضع الخطط والبرامج التي تخفف منه ، وهو كاتجاه يجب تغييره بوسائل تغيير الاتجاهات والاعتقاد نحو الآخر والتوعية من خلال وسائل الإعلام والتثقيف وطالما إن هناك عنصراً فكرياً فإن التوعية المضادة له قد تحقق بعض النجاح في علاجه إلا أن بعض المجتمعات قد تكون أسيرة التعصب بحيث قد يضيع أثر التوعية فيها..

وتضيف: وللوعي بأهمية الآخر دور إيجابي في تقريب المسافة وإذابة الحواجز بين أفراد المجتمع، بالإضافة إلى أن للوعظ الديني دورا في التخفيف من حدة التعصب».

وعلى ذكر السلوك يشير الدكتور عمر حسن أحمد بدران «إلى أن ما يحدد سلوك الإنسان وشخصيته مجموعتين من العوامل الأولى بيولوجية وترتبط بجسم الإنسان وتتضمن عوامل الوراثة أي ما ورثه من والديه وأجداده.. والثانية ثقافية وتتعلق بعلاقة الفرد بالأفراد المحيطين به والوسط الاجتماعي الثقافي الذي ينتمي ويعيش فيه.. ويضيف: البعض الآخر عامل الأسرة والتربية وما يتعلمه في المدرسة وما تتجه له من مواقف تعليمية مقصودة فضلا عما يكتسبه من زملائه في المدرسة أو الشارع.